

حَوْلَ عِبَادَاتِهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة 365 حتى الصفحة 368

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حول عباداته ﷺ

إن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ قد نال أشرف مقامات العبادة وأقربها إلى الله تعالى زلفى ، فهو ﷺ سيد العباد ، وإمام العباد .

قال الله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

فأمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآية بأربعة أشياء : التسبيح ، والتحميد ، والسجود ، والعبادة حتى الموت .

أما التسبيح : فهو تنزيه الله تعالى عما لا يليق به .

وأما التحميد : فهو إثبات المحامد له والكمالات اللائقة به .

ثم قال سبحانه : ﴿ وكن من الساجدين ﴾ أي : المصلين ، فأطلق الجزء - وهو السجود - وأراد الكل - وهو الصلاة - وفي هذا الأمر وهو قوله تعالى : ﴿ وكن من الساجدين ﴾ : فيه التنبيه إلى أفضلية السجود ، كما صح أن النبي ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » رواه مسلم .

وجاءت هذه الأوامر بعد ما ذكر سبحانه ما يعترى رسوله

الكريم ﷺ من ضيق صدره الشريف ، والغم الذي يجده بسبب ما يقوله الكفار من كلمات الكفر والاستهزاء والسخرية بما جاءهم به من عند الله تعالى .

فجاء قوله تعالى : ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ بعد ذلك إرشاداً إلى ما يكشف الله تعالى من الغم ، ويزيل به ذلك الهم ، ويشرح به الصدر ، ويذهب ذلك الضيق ، ولذلك كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة .

ثم قال سبحانه : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أي : الموت ، وسُمي بذلك لأنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق . والمعنى : دُم على العبادات ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظة .

ومما يدل على أن المراد باليقين هنا الموت : قوله تعالى : ﴿ إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون عن المجرمين : ما سلككم في سقر؟ . قالوا : لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين ﴾ أي : الموت .

وجاء في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد أن النبي ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون - وقد توفي - فقال ﷺ : « أمّا هو - أي : عثمان - فقد جاءه اليقين من ربه ، وإني لأرجو له الخير » فأراد ﷺ باليقين الموت .

وقوله تعالى : ﴿ واعبدُ ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ معناه : واعبد ربك مدة حياتك كلها ، دائماً دائماً .

وهذه الآية نظير قوله سبحانه إخباراً عن رسوله عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً ﴾ .

وفي (شرح السنة) للحافظ البغوي ، عن جبير بن نفير مرسلًا : أن النبي ﷺ قال : « ما أوحى إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن ﴿ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ . واعبدُ ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ » .

فالعابد مهما ارتفع مقامه في العبادات ، لا يستغني عن عبادة ربه تعالى ، ولا يسقط عنه الأمر التكليفي بالعبادة ما دام حياً عاقلاً . قال الله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ !؟ .

أي : مثيلاً مسامياً له ومشاهباً ؟ لا : بل هو سبحانه كما قال : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

والمعنى : أنه سبحانه لا مثيل له أصلاً ، وجيء بـ ﴿ مثل ﴾ هنا تأكيداً لنفي المثلية من كل الوجوه والاعتبارات .

وهذا له شواهد كثيرة في القرآن الكريم ، وفي لغة العرب ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، قال تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ أي : ليس له شبيه ولا عديل .

والمقصود : أن الله تعالى أمر عباده بعبادته ، وأمرهم بالاصطبار لها ، وذلك بالمحافظة عليها في أوقاتها ، والمواظبة الدائمة عليها في الأيام والليالي ، وذلك بإعطاء كل وقتٍ حقّه وحظّه من العبادة ليلَ نهار .
ولذلك كانت عبادات النبي ﷺ دائمةً مستمرةً متواصلةً في الليل والنهار :

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها : أنها سُئِلَتْ : كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يخصُّ شيئاً من الأيام - أي : ويترك العمل في أيام - ؟ .

فقلت : (لا - كان عمله ديمةً ، وأيُّكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟) .

ولم يدع رسول الله ﷺ نوافله وتطوعاته طيلة عمره ، كما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (ما مات رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صلواته - أي : التطوع - وهو جالس ، وكان أحبُّ العمل إليه ما داوم عليه العبد ، وإن كان شيئاً يسيراً) .
رواه ابن حبان في (صحيحه)^(١) .

(١) كما في (الترغيب) للحافظ المنذري .